ملتقى وطني بعنوان "البيوطيقا: حوار جديد بين العلم والفلسفة"

2023-05-02

د/ ليندة صياد

جامعة باجي مختار– عنابة–

عنوان المداخلة: تحسين النسل بين العلم والإيديولوجيا

لقد ساهمت المعرفة العلمية في رفاهية البشر، إذ وفرت لهم أنواعا جديدة من الحريات، بالإضافة إلى الفوائد المادية. لكن التطور الذي حققه الإنسان حضاريا وتكنولوجيا طرح تحديات جديدة أدّت إلى تغيير مسار الحياة البشرية، على مستوى العلاقات الاجتماعية والقيم الأخلاقية. ونظرا لاستخدام التكنولوجيا في المجال البيولوجي ظهرت إشكاليات أخلاقية تطلّبت وجود مبحث جديد يسمّى" أخلاقيات البيولوجيا " La Bioéthique لأنها مسّت حياة الإنسان من جهة، وهدّدت استقرار البحث العلمي من جهة أخرى. وأخلاقيات البيولوجيا تعبّر عن الأبحاث ذات العلاقة بالمشكلات الأخلاقية التي يثيرها استخدام التقنيات الحيوية والطبية الحديثة.

تعرّف علماء البيولوجيا على الحياة على المستوى الجيني بعد تطبيق تقنيات الهندسة الوراثية، ومنه عقدوا الآمال على معالجة العديد من الأمراض الوراثية وتحقيق صحة جيدة للأفراد، وبالتالي ضمان تقدم وازدهار المجتمعات. لهذا ظهر في أواخر القرن الماضي ومستهل القرن الحالي، اتجاه نحو الحصول على الطفل الخالي من كل العيوب والأمراض الوراثية وهو ما اصطلح عليه بـ "تحسين السلالة البشرية" إذ أضحى احتمال أن يخلِّق البيولوجي رجلاً محسّناً أو امرأة محسّنة غير بعيد في ظل الإنجازات الباهرة في مجال التقنية الجينية. ومع تطور علم الوراثة شكّل تحسين النسل حركة ذات طابع مؤسسي منظم. إلاّ أن عملية تحسين النّسل أثارت مشاكل أخلاقية متعددة أدّت إلى ظهور نزعتين متعارضتين: تدافع إحداهما عن التقدم العلمي والتكنولوجي مؤكدة أنّ علوم الحياة لا يمكن فصلها عن تحسين النسل، ومن ثمّ دعم تقدم العلوم والتقنيات في ميادين الطب والبيولوجيا والاقتراب من مرحلة تطور نوعية هي مرحلة إنسان أعلى له قدرات بيولوجية وعقلية تتجاوز تلك التي يتوفر عليها حاليا.

ويدافع الطرف الآخر على حقوق الإنسان وكرامته لضمان استمراره في الوجود والحفاظ على جوهره وهويّته؛ لأنّ الخلق البيولوجي الذي نحن عليه خلق مقدّس لا يجوز المساس به. وهذا ما دفعنا إلى طرح الإشكال الآتي:

هل تحسين النسل من مقتضيات العلم لمحاربة الأمراض الوراثية؟ أم أنه يتجاوز العلاج إلى السعي لإنجاب إنسان بمواصفات معيّنة وتصنيف جديد ممّا يعيد العنصرية التي تميّز بين العرق الجيّد والعرق المنحط؟

1- مفهوم تحسين النسل: Eugénisme

لقد أدى تقدم البحوث والدراسات في مجال البيولوجيا والطب في النصف الأول من القرن العشرين، إلى الحديث عن إمكانية تحسين النسل باعتباره مجموعة من التقنيات لتحسين الإرث الجيني لعرق ما. أما علم تحسين النسل باعتباره حركة اجتماعية سياسية وأيديولوجية فهي تشكل انحرافا.

لقد ظهر مصطلح تحسين النسل في أواخر القرن التاسع عشر عندما قام **"فرانسيس غالتون" Francis Galton** (1822-1911) بنحت المفهوم سنة 1883 مستعملا لأول مرة الكلمة الإنجليزية "**Eugenics**" وهي من أصول لغوية يونانية ويتألف من مقطعين eu- genés تدل على«السلالة الحسنة» eu:حسن، ونسل أو سلالة أو نوع: genos. وقد استعمل لفظ eugenics الإنجليزي حينما ترجم إلى الفرنسية بكلمتين هما: Eugénique (1886) وEugénisme (1888).[1]

وترجم المصطلح الإنجليزي إلى الفرنسية بكلمتين أساسيتين هما "**Eugénique**" التي تدل على مجموع التقنيات العلمية التي تتيح تحسين المخزون الوراثي لعرق معيّن أو علم تحسين النسل "**Eugénisme**" التي تدل على الحركة الاجتماعية السياسية والإيديولوجية التي تدافع عن ممارسة تحسين النسل.[2]

استعمل "**غالتون**" هذا المصطلح في البداية للإشارة إلى « الشروط الملائمة للتكاثر البشري الجيّد» وفي سنة 1904 حدّد تعريفا أدق وأشمل بقوله: "هي دراسة العوامل الاجتماعية التي تسمح بزيادة أو خفض الخصائص العرقية للأجيال القادمة، من الناحية الجسمية والعقلية".[3]

---

[1]- محمد جديدي: ما البيوإتيقا؟ منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، 2020، ص197.

[2]- عمر بوفتاس: البيوإتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2011، ص336.

[3]- Encyclopedia Universalis : Corpus 09 éditeur à Paris 1993, P16

وميّز بين نوعين أو مظهرين من تحسين النسل هما: **تحسين النسل الإيجابي Eugénique** (**positive**) الذي يهدف إلى دعم الخصائص البيولوجية والنفسية والعقلية الإيجابية، وتشجيع إنجاب الأفراد الأكثر كفاءة. أما **تحسين النسل السلبي**(**Eugénique négative**) فيسعى إلى استبعاد الخصائص البيولوجية السلبية، وتقليص إنجاب الأفراد الضعاف وذوي العاهات والعاجزين عن التكيف الاجتماعي.[4]

2- الأصول التاريخية لنظرية تحسين النسل:

"يعدّ تحسين النسل حقيقة تاريخية قبل أن يكون مفهوما علميا وفلسفيا، ولذلك يمكن التمييز بين أربع أبعاد تاريخية لتحسين النسل:

أ-في القديم، وجد تحسين النسل كفكرة قبل حتى أن يوجد المفهوم والمصطلح.

ب-عندما تأسس مصطلح تحسين النسل بدءا من 1883 لم يعد فكرة بل تحول إلى إيديولوجيا.

جـ-بين الحربين العالميتين ظهرت قوانين تحسين النسل في عدة دول أوروبية وأمريكية.

د-بعد الحرب العالمية الثانية، سيربط تحسين النسل بالوراثة الطبية La génétique médicale علاقة وطيدة، على الرغم ممّا فيها من نزاع، وبالتالي سيتمحور موضوع تحسين النسل منذ ستينيات القرن الماضي حول التقدم في الوراثة الطبية.[5]

هذا بالإضافة إلى خلفيات نظرية فلسفية وعلمية وسياسية، تمثلت في السعي لتوريث الأجيال القادمة أحسن الخصائص والسمات التي يتوفر عليها الجيل الحالي، وتجنيبها ما يعاني منه من أمراض وعيوب وهي رغبة قديمة وجدت عند المصريين واليونان والرومان، حيث حدّد أفلاطون في كتابه "الجمهورية" مقاييس تحسين النسل التي يلزم أن يتقيد بها مجتمع مثالي. إلاّ أن الأفكار الداعية إلى تحسين النسل ظهرت قبل ظهور مصطلح تحسين النسل في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر مع الفيلسوفين الفرنسيين **"كوندورسيه" Condorcet** (1743-1794) و **"كابانيس" Cabanis** (1757-1808).[6]

---

[4]- op,cit : P17

[5]- محمد جديدي: ما البيوإتيقا، ص199.

[6]- عمر بوفتاس: البيوإتيقا، ص337.

أمّا عن الجذور النظرية التي ساعدت على تبلور مشروع تحسين النسل فيمكن حصرها في أربعة عوامل أساسية وهي: نظرية الانحطاط، نظرية التطور الداروينية، نشأة علم الوراثة، والتوجهات العنصرية.

أ- نظرية الانحطاط:

"الانحطاط فكرة قديمة في الفكر الغربي، إذ ترجع إلى القرون الوسطى بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية. لكن على وجه التحديد يمكن إرجاعها إلى عصر الأنوار مع الفيلسوف **كوندرسيه** الذي أكد على ضرورة تحسين النوع البشري اعتمادا على ما حصل من اكتشافات جديدة في ميداني العلم والفن، وعلى تطوير حقيقي للقدرات العقلية والأخلاقية والجسمية".[7] أي أنهم تساءلوا عن أسباب تراجع وانهيار الامبراطورية الرومانية حتى يحققوا التقدم من خلال اكتشاف النظريات العلمية التي تحدّد مقومات النسالة الإيجابية.

كما عرف القرن التاسع عشر انتشار العديد من التصورات الفلسفية التي ترى أنّ التقهقر والانحطاط بدأ يصيب بعض الأجناس وسيكون لذلك انعكاس على غيرها من الأجناس وبالتالي على الإنسانية ككل. ومن أهم المفكرين الذين أيدوا هذه الأفكار الفيلسوف الألماني **"هردر" Herder** (1744-1803) حيث أكد على وجود الاختلافات بين الأعراق والأمم ولهذا يجب على هذه الأخيرة المحافظة على نقائها ومميزاتها لأن ضياعها واندثارها سيحصل عند اختلاطها مع غيرها من الأمم والأعراق.[8]

وفي نفس السياق يذهب طبيب الأمراض العقلية الفرنسي **" مورل " Morel** (1809-1873) في كتابه "**بحث حول انحطاط الجنس البشري**" إلى الاهتمام بتحسين النوع ككل- بشكل جماعي- وليس الحالات الفردية وحصر أسباب الانحطاط في عاملي: الوسط الاجتماعي والوراثة. وقد لاحظوا أن الأمراض والعاهات تنتشر في أوساط الطبقات الكادحة التي تعيش في ظروف اقتصادية وصحية مزرية، كما يتوارثون هذه الأمراض فيما بينهم ويهدّدون بها غيرهم من أفراد الطبقات الأخرى.[9]

---

[7]- المرجع السابق: ص338.

[8]- المرجع نفسه: ص339.

[9]- المرجع نفسه: ص340.

ب– نظرية التطور الداروينية:

وهي تفسر الكيفية التي انحدرت منها الكائنات الحية في تعددها واختلافها من أصل واحد، وماهي الآليات التي تتحكم فيها. وقد اعتمد داروين عندما نشر كتابه أصل الأنواع سنة 1859 على مبدأين هما:

-الانتخاب الطبيعي، -البقاء للأصلح.

إنّ فكرة "الانتقاء الطبيعي" التي جاء بها العالم الطبيعي البريطاني " **تشارلز داروين**" **Charles Darwin** (1809-1883) هي التي ألهمت "**غالتون**" أفكاره حول تحسين النسل. لكن الفرق بينهما هو أن نظرية التطور الداروينية تؤكد أنه بظهور المجتمع توقّفَ مسار الانتقاء الطبيعي بالنسبة للإنسان.

أما "**غالتون**" وغيره من أنصار نظرية تحسين النسل فقد اتهموا الحضارة بأنها السبب في إعاقة الحركة الطبيعية التي يتم بموجبها التخلص من العيوب والتشوهات الوراثية بشكل تلقائي.[10]

جـ– علم الوراثة:

إن معطيات علم الوراثة كانت من أهم مرتكزات نظرية تحسين النسل على أساس اعتقاد أنصار هذه النظرية أن كل السمات الجسمية والعقلية ذات طابع وراثي. ومن ثم ساهمت فكرة تحسين النسل في تطوير علم الوراثة الذي تم تأسيسه رسميا سنة 1905 من طرف العالم البيولوجي البريطاني "**باتسون**" **William Bateson** (1861-1926) واعتبر علم الوراثة في البداية علما للنمو، وليس علما يدرس المورثات أو الجينات، لأنّ كلمة "مورّث" أو Gène لم تستعمل إلاّ سنة 1909 من طرف عالم الوراثة الدانماركي **جوهانسن Wilhelm Johannsen**.[11]

د– النزعة العنصرية:

تدعو هذه النزعة إلى تنقية الأعراق الراقية وحمايتها من الاختلاط بغيرها من الأعراق بوسائل وطرق مختلفة. أقرّت بأفضلية العرق الأوروبي، وهو ما كشفت عنه الحملات الاستعمارية (خير مثال على ذلك، نظام جنوب إفريقيا السابق الأبارتايد، وهو حكم يقوم على التمييز العنصري. وكذلك سياسات اليمين المتطرف في أوروبا

---

[10]-المرجع السابق: ص341.

[11]-المرجع نفسه: ص342-343.

وأمريكا، المعادية للمهاجرين والأجانب والملونين، وكذلك ما قامت به بعض الأنظمة من تطهير عرقي كما حصل في البوسنة أو في رواندا.[12] وقد تُمارس عن طريق تصفية الأعراق المنحطة والضعاف والمرضى.(وهذا ما فعلته النازية في ألمانيا مع اليهود والغجر الذين قامت بحرقهم في الأفران، بالإضافة إلى تعقيم المعوقين كي لا يحملوا بأطفال معوقين أيضا، وكان هدف "هتلر" إيجاد نظام عالمي جديد تحكمه ألمانيا). أو من خلال القضاء على الجينات المريضة أو عيوب مثلما ذهب إليه علماء الوراثة ودعاة تحسين النسل المعاصرين.[13]

ورغم سلبيات الممارسة العنصرية نجد من العلماء من يدافع عنها مثل الفرنسي **"كاريل" Carrel** المتحصل على جائزة نوبل للطب، والألماني **" فون فتشنير" Von Vechner** خلال الحرب العالمية الثانية.

3- البعد العلمي لنظرية تحسين النسل:

لقد أحدثت الثورة البيولوجية إشكالات كثيرة خاصة في مجال الهندسة الوراثية بشكل عام وتحسين النسل على وجه التحديد. والدليل على ذلك، أنها أثارت العديد من القضايا الأخلاقية والعقائدية والاجتماعية، نتيجة الأخطار المحتملة التي قد تتولد عنها وأثرها على مستقبل الجنس البشري.

فهل معنى ذلك أن التجارب والتقنيات الجديدة المطبقة في مجال تحسين النسل تخفي أيديولوجيا عنصرية لأن هدفها هو المفاضلة بين الأعراق والأمم ودعم العرق الجيّد ؟ أم أنها أفادت الإنسان بمعالجتها للعيوب والأمراض الوراثية و القضاء على التشوهات الموجودة في الأجنة قبل ولادتها ومن ثم تسعى لتحقيق الصحة الجيدة ؟

إن تشخيص العاهات الموجودة عند الجنين قبل الولادة مكن العلماء من التدخل لعلاج وإصلاح ما يمكن إصلاحه وسمح لهم معرفة الأمراض الوراثية مثل التخلف العقلي ومرض النزف الدموي حتى الموت، وضمور خلايا المخ، والأنيميا الوراثية، وعمى الألوان....إلخ وهي تنشأ من خلل في جزء من الخطة الوراثية أثناء تكون الجنين. وعند علاج هذه الأمراض تأتي الأجيال في المستقبل من غير عاهات عضوية أو عقلية أو فيزيولوجية.[14]

---

[12]- محمد جديدي: ما البيوإتيقا؟ ص201.

[13]- عمر بوفتاس: البيوإيتيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، ص343.

[14]- عبد الحسن صالح: التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، المجلس الوطني للثقافة، سلسلة عالم المعرفة، ع48، 1981، ص118.

وتتم المعالجة عن طريق إمداد الخلايا المريضة بفيروس أو فيروسات خاصة تحمل الجينات السليمة، فتصبح جزءا من المخطط الوراثي وتعوض الإنسان عن جيناته المعطوبة، لكن يجب أن يحدث ذلك على مستوى الخلايا الجنسية، حتى ينشأ الجنين من البداية سليما. ولابد أولا من تذليل عقبات علمية كثيرة قبل الإقدام على تعديل البرامج الوراثية للخلايا الجنسية، ذلك أن أي خطأ سينعكس على تكوين الجنين. لكن إصلاح الجينات المعطوبة لا تفيد إلا الفرد نفسه، ومعنى ذلك وجود إمكانية توريث أخطاءه إلى الذرية التي تأتي من بعده.[15] وإذا كان العلاج مستعصيا فإن التخلص من الجنين هو الحل المناسب، حتى لا يكون في المستقبل عبئا ثقيلا على المجتمع الذي يسعى ليكون انتقائيا من خلال التطبيقات العملية لتكنولوجيا تحسين النسل.[16]

4- البعد الإيديولوجي لنظرية تحسين النسل:

يقول أ. جاكار: "الأجينيزم من دون شك هو المثال المفرط لاستعمال محرّف للعلم"، ومعنى ذلك أن القلق والتخوف ينتج من الانزلاقات والانحرافات التي قد تحدث عند استخدام تحسين النسل لأغراض غير علمية، وذلك بسبب موقف السلطات العلمية والسياسية الذي يوحي بهاجس إيديولوجي يقضي بالإيمان وبفرض الإيمان بالتحكم الجيني، وهو هاجس يقارب التزوير وانعدام المسؤولية".[17]

إن نمو فكر الحتمية البيولوجية في أوائل السبعينيات، كان بمثابة رد فعل على المطالب الملحة للسود بالمساواة في العائد الاقتصادي والوضع الاجتماعي، والتي لم يعد بالإمكان الاستجابة لها مع إنكار شرعيتها، كان بسبب هاجس إيديولوجي، وهو أن السود بيولوجيا أقل قدرة على التعامل مع المجردات العليا التي تعود بالعائد الأعلى.[18] ومن أجل ذلك، فإن دعوى وجود فروق بيولوجية في القدرات العقلية والصفات الجسمية للمهاجرين (انحطاط السود عن البيض وراثيا في مهاراتهم المعرفية)، تحمل في طياتها معاني التفرقة العنصرية التي تنادي بها الجبهة القومية الفاشية، والتي تدعي في برنامجها أن البيولوجيا الحديثة قد أثبتت أن الآسيويين والأفريقيين واليهود، منحطون

---

[15]- المرجع السابق: ص131.

[16]- سمية بيدوح: فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر، دط، 2009، ص55.

[17]- محمد جديدي: ما البيوإتيقا؟ ص205، 206.

[18]- ستيفن روز وآخرون: علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص37.

وراثيا.[19] وهذا ما دفعهم إلى وضع برامج لتحسين النسل والمحافظة على نقاء العرق الغربي من حيث الصفات العقلية (معامل الذكاء) والجسمية (لون البشرة والعينين).

إن انتقاء الجينات الجيدة والسليمة ثم زراعتها في خلية الإنسان ليحملها في جهازه الوراثي، ثم رعاية تلك الخلية ومعاملتها بما لدى العلماء من إمكانيات علمية متطورة، لتتحول إلى خلية جنينية تنقسم وتتكاثر وتُشكل لتتمخض في النهاية عن المخلوق "المفضل" حسب الطلب، أو الحصول على أطفال بمواصفات محددة مسبقا، كأن يختار الآباء لون شعرهم وعيونهم وأن يكونوا أكثر ذكاء ولياقة بدنية، وكل المزايا التي يريدون ترسيخها في الموروث الجيني للأحفاد القادمين في المستقبل. وهو ما يسعى إلى تجسيده دعاة تحسين النسل.

لكن قد يترتب على هذه التقنيات الجديدة نتائج وخيمة مستقبلا؛ مثل تهديد التنوع البشري والاختلاف البيولوجي الذي يعتبر ضروريا لحياة الأفراد والجماعات الإنسانية. كما أنه يسعى إلى إنتاج جنس جديد هو أقرب إلى الآلات منه إلى بني البشر، وهو بذلك يعارض القيم الأخلاقية والدينية التي رسختها الثقافات البشرية منذ آلاف السنين.[20]

وفي هذا السياق يرى **"يورغن هابرماس" Yurgen Habermas** (1929-....) أن الاحتمالات الجديدة للتدخل في البرنامج الوراثي يشكل تهديدا حقيقيا لمستقبل الإنسان بسبب تلاشي الحدود بين الأشخاص والأشياء حيث يقول في كتابه « مستقبل الطبيعة الإنسانية » "إن التدخلات التي تهدف إلى تعديل وراثي، لا تتطاول على الحرية الأخلاقية إلاّ بقدر ما تُخضع الشخص المعني للنوايا التي حدّدها شخص ثالث، وهي نوايا يرفضها الشخص المعني، لكنها غير قابلة للانعكاس وهي تمنعه من أن يفهم نفسه بصفته الفاعل وحده لحياته الخاصة... فلا أهمية إلاّ للنية التي ارتبطت بمشروع البرمجة ".[21] ومعنى ذلك أن الإنسان يصبح سجين جهازه الوراثي المعدّل ومن ثم تنتفى حريته.

إذا كان التشخيص المبكر الذي يسبق الولادة يؤدي إما إلى قبول الطفل بعيبه الوراثي أو اللجوء إلى الإجهاض، فإن الحالة الثانية هي الأكثر اختيارا لتجنب معاناة الطفل وعائلته. لكن الملاحظ في الدول الغربية أن

---

[19]- المرجع السابق: ص34.

[20]- عمر بوفتاس: البيوإتيقا، ص 357.

[21]- يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، ط1، 2006، ص78.

العديد من عمليات الإجهاض تكون لأسباب تافهة كوجود عيب في القدمين أو الشفتين.[22] وبالتالي يتم التخلص من هذه الأجنة دون مراعاة الضوابط الدينية والأخلاقية والاجتماعية، فلا مكان لقدسية الحياة في سياسة تحسين النسل.

وازدادت مخاطر تحسين النسل عندما نجحت التجارب التي حوّل بها العلماء الكائنات الدقيقة المسالمة إلى كائنات ممرضة، إذ قد يغري ذلك البعض في تصميم كائنات بكتيرية، فينتج عن ذلك سلالات مدمرة لا تعرف أجهزة في أجسامنا عن أصولها شيئا، فتدمرها تدميرا دون أن يستطيع أحد أن يفعل شيئا، أو قد تستخدم في الحروب البيولوجية، فتصبح بذلك أشد خطرا من القنابل الذرية.[23]

لقد وجد الإنسان نفسه يتحول إلى مجرد مجموعة من رموز وراثية يمكن عن طريق حلها معرفة تكوينه الوراثي، ومن ثم السيطرة عليه. وهذا يعني أن قدسية حياته وأسرارها أصبحت عرضة لأن تنتهك. ومن أجل تجاوز تلك المخاطر فمن الضروري أن تخضع الأبحاث العلمية لقواعد أخلاقية وقانونية تقوم على أساس مبادئ حقوق الإنسان، وإعادة صياغة مفاهيم الحرية والواجب والمسؤولية في ميادين البحث العلمي، حتى لا تتيه العلوم عن منهج حماية الإنسان.

فهل يمكن أن نسمح باستمرار مثل هذه التجارب الوراثية، أم أننا يجب أن نمنعها نهائيا؟

وما مدى مشروعية التدخل والتحكم في صفات الإنسان أو قدراته المختلفة؟

وما هي ضمانات عدم الانحراف بهذه الأبحاث لتحقيق أغراض غير علمية؟ ومن الذي سيضع هذه المعايير ويتحمل مسؤولية نوعية الجينات أو الصفات التي سيتحلى بها إنسان المستقبل. أهم رجال السياسة أم الدّين أم العسكريين؟ وهل الفوائد التي سنجنيها من هذا المجال تكفي لتبرير استمراره؟ وهل من حقنا أن نحدد مصير الأجيال القادمة سواء بقبولنا لاستمرار التجارب أو بمنعنا لها؟

---

[22]- عمر بوفتاس: البيوإتيقا، ص359.

[23]- عبد الحسن صالح: التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، ص132.

خـــاتمـــــة:

لقد أثبت تاريخ العلم أن النتائج التي يصل إليها البحث العلمي لا تعد خيرا كلها، أو أنها كلها تهدف إلى خير المجتمع ورفاهية البشرية، ولم يعد من الممكن الاعتقاد أن ثمار العلم دائما مفيدة. بإمكان العلم أن ينتج الخير والشر معا، ذلك لأنه يتحقق من خلال الإنسان الذي يملك هذين العنصرين معا. لهذا يجب التمييز بين نوعين من التجارب: الأولى أهدافها علاجية يقصد منها تخليص الإنسان من العيوب الوراثية وتقديم العلاج لتخليصه من الأمراض مثل الأنسولين ومرض السكر، فهي تجارب لصالح الإنسان.

أما النوع الثاني من التجارب فهو النوع المرفوض، ويهدف فيه العلماء إلى خلق صورة جديدة من صور الحياة، كأن يحاول العالم تغيير التركيب الوراثي للإنسان بحيث يسلك سلوكا معينا يجعله غير حر وتحت سيطرة الآخرين، أو أن يقوي فيه صفات معيّنة ويضعف أخرى. ومن جهة أخرى ما هو الوضع القانوني للأطفال الذين سيولدون بهذه الطريقة. وماهي النتائج المترتبة على ذلك بالنسبة لمفهوم الأسرة كبناء اجتماعي، وكذا قوانين الملكية والميراث.

لقد أحدثت هذه القضايا قلقا شديدا على مصير الإنسان ومستقبله، الأمر الذي فرض الحاجة الملحة إلى فلسفة إنسانية جديدة تحدد للعلماء الجوانب الأخلاقية والشرعية التي يجب مراعاتها. لأن الأسرة ليست نظاما مصطنعا يقوم على إرادة الإنسان، ولكنها نظام طبيعي وفطري لا ينفرد به الإنسان وحده. فهي الإطار الطبيعي لإشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية والنفسية، كغريزة الوالدية وتأكيد الذات. كما أن العلماء مسؤول عن استخدامات أبحاثهم العلمية لأن له قيمه ومبادئه الأخلاقية ومعتقداته الاجتماعية والإيمانية ومنه عليه تنبيه الرأي العام للمخاطر التي يمكن أن تترتب عن الاستخدام غير الإنساني للعلم.

لهذا لابد أن تستخدم الهندسة الوراثية البشرية من أجل العلاج فقط. ولا يستخدم هذا العلاج إلاّ بعد دراسة دقيقة للمخاطر والفوائد التي يمكن أن تؤدي إليها مثل هذه التكنولوجيا. لكن يجب أن لا نوقف مثل هذه التجارب والبحوث بسبب الخوف من التطبيقات المحتملة غير المرغوب فيها، لأن ذلك يعتبر طعن وتشكيك في البيولوجيا المعاصرة ككل.

المـــراجـــع:

-محمد جديدي: محمد جديدي: ما البيوإتيقا؟ منشورات الوطن اليوم، سطيف، 2020.

-عمر بوفتاس: البيوإتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2011.

- عبد الحسن صالح: التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، المجلس الوطني للثقافة، سلسلة عالم المعرفة، ع48، 1981.

- سمية بيدوح: فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر، دط، 2009.

- يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، ط1، 2006.

- ستيفن روز وآخرون: علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع148،1990.

Encyclopedia Universalis : Corpus 09 éditeur à Paris 1993.